حواريةُ الخاتمة في نهج البلاغة

The Conclusion in Nahj al-Balaghah

أ. د. وليد شاكر النعاس رفل عبد الأمير محسن
جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

Doctor's supervision: Prof. Dr. Walid Shaker Alna'as
Prepared by the student: Rafal Abdel Amir Mohsen
University of AL- Muthanna / College of Education for Human Sciences

ملخص البحث

نصُّ الخاتمة مكوّن لساني فيه امتصاص لملفوظات مختلفة، من يقف عليها يدهش لاشتغالها في حواريات مختلفة، تستبطن صراعاً لأصوات مخبوءة أو ظاهرة ، ليتقاسم الجميع صوغ الخطاب، وإن كان من نطقه مفردا.

وإمارات هذه العلائق المتداخلة وقف عليها الباحثون مبيّنين ترابطها السحري بما يسمّى التفاعل النصي، الذي له آلياته وأنماطه المتعدّدة، ذات الاشتغالات المتباينة، والتي يمكن لحاظها في مقولات الخواتيم، بما تشي تجدّدها وخصب دلالاتها ومعانيها

دواة

Abstract

The text of the conclusion is a linguistic component in which there is an absorption of different words. Those who stand on it are amazed because they are engaged in various dialogues، which contain a conflict of hidden or apparent voices. Thus، everyone can share the wording of the speech، even if it is pronounced alone.

The signs of these overlapping relationships were discovered by the researchers، manifesting their magical interrelationship with the so-called text interaction. This interaction has its multiple mechanisms and patterns، with different occupations، which can be observed in the sayings of the endings، including their renewal and fertility of their connotations and meanings.

المقدمة

يُعد الحوار وسيلة من وسائل تبادل الكلام والخطاب والمشورة، كما أنه أحد أساليب التعبير الفني الأدبي، عادة ما يكون شفاهيا أو كتابيا، يكشف عن طريقة صياغة لغة الحوار التي تشعر القارئ بأنواعه المتعدّدة، والتي تتلاءم مع أفكار الباثّ والمتلقّي.

قد يتبادر في ذهن القارئ كيف يظهر مستوى تداخل ذات المتكلم في الخاتمة مع ذوات أخرى.

بنية الحوار في خواتيم نصوص نهج البلاغة، أسلوب من أساليب التعبير التي عبّر من خلالها الإمام عن بنية مضمونية لنصوص أتسمت بالأسلوب الحجاجي، حملت دلالات وظيفية وجمالية، بوصفها ترمي إلى غاية مرسومة من لدن الإمام (عليه السلام)، بحيث يكون عاملاً من عوامل الكشف والتطوّر بالحدث أو تجلية النفس، لم نعثر على عبارة (الحوار) إذ وجدنا في متون النهج على مفاهيم مرادفة لها، حوار المناجاة فيه برزت شخصية الإمام (عليه السلام) مع ذاته وضميره، وفيه كشفت خبايا كينونتها، أمّا الحوار الثنائي فيه حاور الإمام (عليه السلام) ذاتاً أخرى وعادة ما يأتي مركّبا أو تميزاً أو مجرداً، ثم الحوار الحكائي الذي تضفي على بنائه وحدة عضوية، بسبب وحدة الموضوع والمشاعر والصور والأفكار.

الحوار لغةً : هو تبادل الكلام، ومنه المحاورة، وهي ((المجاوبة، والتحاور والتجاوب، وتقول، كلّمته، فما أحار لي جواباً ؛ أي ما ردّ جواباً. واستحاره أي : استنطقه، وهم يتحاورون،أي: يتراجعون الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة، والمحورة من المحاورة،مصدر كالمشاورة))[١]

وفي الاصطلاح :قيل فيه تبادل الحديث شفاهياً بين الشخصيات في قصة أو مسرحية أو نحو ذلك [٢]

ويمثل الحوار أحد أساليب التعبير في الفن الأدبي، كما أنه يعدّ ((نمطاً من أنماط التعبير تتحدث به شخصيتان أو أكثر وقد اتسم حديثهم بالموضوعية والايجاز والتكثيف والافصاح، وهو الطابع الذي يتسق به الكلام بطريقة تجعله يُثير الاهتمام باستمرار))[٣]، بأنواعه المختلفة التي تتلاءم مع أفكار الباث، والكشف على طريقة صياغاته التي تشعر القارئ التركيز على حدث ما، يحمل دلالات وظيفية وجمالية بوصفه يرمي غاية مرسومةٍ بحيث يكون عاملاً من عوامل الكشف والتطوّر بالحدث أو تجلية النفس الغامضة أو الفكرة المراد التعبير عنها[٤].

لم نعثر في خواتيم نصوص نهج البلاغة المروية عن الإمام (عليه السلام) على عبارة (الحوار) تحديداً، الاّ أنه بإمكاننا أن نجد في متون النهج على اصطلاحات مشابهة لها، ولتقنية الحوار، بشكل مباشر أو غير مباشر التي تدلّ على هذا المعنى الذي نسلّط عليه الضوء بالآتي:

أولاً : حوار المناجاة :

يعدّ هذا الحوار من الصيغ التي تتضح في السرد ويسمّى المنولوج الداخلي، حين يبرز حديث الشخصية مع ذاتها أي ضميرها، وفيه تكشف الشخصية خبايا كينونتها، وما يدور في ذاكرتها، مع انضباط واع في التعبير المقصود عمّا يختلج نفسها[٥]،وقد حضر هذا النمط من الحوار في خواتم نهج البلاغة بشكل

متفاوت بين باب وآخر، إذ كان حضوره شاخصاً في باب الخطب وما يجري مجراها، موازنة عنه في باب المختار من حكمه وأجوبته القصيرة، في حين نراه شبه معدوم في باب المختار من رسائله ومواعظه ووصاياه إلى عماله

وقد يبرر ذلك أن الأخير في معظمه اقناعي أو جدلي أو تفاوضي، في حين أن الحوار الذاتي هو حوار تأملي، فيه ((حديث النفس للنفس، واعتراف الذات للذات، لغة حميمة تدسّ ضمن اللغة العامة بين السارد والشخصيات، وتمثّل الحميمة والصدق والاعتراف والبوح))[٦]، وهو ما لاحظناه في متون نهج البلاغة، التي كشفت خواتيمها عن ذات الإمام (عليه السلام) وحوارها مع نفسها.

ففي الباب الأول الموسوم الخطب وما جرى مجراها، نلحظ كلامه مع فئة من أصحابه، وقد تضمّن حواراً ذاتياً نستشهد بكلامه (عليه السلام) يقول : ((أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ))[٧]، يقع الحوار في الباب الأول جزءا من أساليب التعبير الفني الأدبي،إذ يمثّل الحوار الذاتي في الخطب متغيراً أسلوبياً، بمقتضى مضمونها في التعبير عن قصدية الحوار الذاتي الذي يُظهر وظيفته في إظهار الفكرة بين المرسل وذاته، ثمّ إحداث التأثير للمتلقي بوظيفة الحوار الانفعاليّة ؛ وبذلك يتحقّق اظهار المكبوت قصداً اعترافياً، تتجلّى فيه رصد مضامين تحوّلات البنى من المضمر إلى المعلن، فضلاً عن، وتغايرها للكشف عن الوظيفة التي تؤدّيها تلك الأشكال اللغوية داخل النص الحواريّ[٨].

إذ نلحظ في خطبته التأبينية لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حين عرض موقفاً حوارياً شخصياً ظهر فيه مدى حزنه وأساه على فراق النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، فقال فيه : ((وَلَوْلاَ أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً، وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً، وَقَلاَّ لَكَ! وَلكِنَّهُ مَا لاَ يُمْلَكُ رَدُّهُ، وَلاَ يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ!))[٩]، الحوار كان موجهاً لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بعد موته، وظهرت فيها مشاعر الحزن، والأسى التي كان يشعر بها الإمام (عليه السلام) لذا أخذ يصبّر نفسه،ويواسيها باستذكار كلام النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في التصبّر والابتعاد عن الجزع، فيحاوره بقوله نحن على سنتك وطوع إرادتك ولولا هذا التصبّر بسنتك لا برحت الكأبة من القلب ولاخفت الحزن من النفس، وهو بهذا حاوره ليعرض الموقف الشخصي او النفسي له، إبّان ذلك الحدث الأليم المحزن.

أمّا ما جاء في الباب الثاني : قوله (عليه السلام) ومناجاته مع الله عزوجل : ((رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ))[١٠]، وقد يسير الحوار الذي يستعمله في خاتمة النص بشكل المحاورة الحقيقية التي تحصل بين شخصين متحاورين بشكل

فعلي، فينسب الحوار مع من يحاوره كما في قوله (عليه السلام) :((أَ تَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا؟ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ))[١١]، فالمحاورة هذه حصلت بين الإمام (عليه السلام) والعلاء بن زياد الحارثي، وكان من أصحابه، فلما رأى سعة داره قال له ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، وأنت إلى الآخرة أحوج، فأجابه الحارث وأخوه عاصم يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك فأجابه الإمام (عليه السلام) ((وَيْحَكَ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ))، فخشونة الإمام في عيشه جزء من جهاده وعمله من أجل الفقراء[١٢].

فذكر المحاورة هنا جاء بشكل تفصيلي، ناسباً فيها الحوار لصاحبه، ليعرض لنا لمحة من تعاملاته مع أصحابه، وكيفية عرض وجهة نظره لهم، بأسلوب حواري ممتع تصاعد في الحدث، يصل إلى ذروته، ثم يأخذ بالتراجع ليصل إلى النهاية والخاتمة، يجعلها ((موضعا يبني فيه المؤلف اكتمال الخطاب وانفتاحه في آن، ويسعى فيه إلى مضاعفة التأثير في القارئ «المحاور معه»...، عبر أساليب تصويرية وايقاعية وحكمية))[١٣]

كما نلمح في الباب الثالث :قوله (عليه السلام) عندما رجع من صفين، فأشرف على القبور بظاهر الكوفة :((ثُم التفت الى أصحابه فقال : أما لو أُذن لهم في الكلام، لأخبروكم أن خير الزاد التقوى))[١٤]، والذي لوحظ في هذا النموذج من الحوار أنها دائماً لخطابه مع الله تعالى، وكأنه تصريح بالهوية الذهنية للإمام (عليه السلام) أن لغة كينونته، تتجّسد بالانتماء معنوياً وجمالياً نحو ربّ الكون كأنه ((أحلام اليقظة تتغذّى على كل أنواع المشاهد...، فينتج عن هذا التأمل موقف خاص جداً، وحاله داخلية لاتشبه أي حاله))[١٥].

يعدّ الدعاء من أشدّ روابط القرب إلى المعبود، ومن أقوى الأسباب في إنجاح المطلوب وأعظمها في نيل المقصود، وهو وسيلة بين العبد وخالقه، واتصال من عالم الملك بعالم الملكوت فهو شعور الإنسان الباطني بصلته وارتباطه بعالم لا مبدأ له ولا نهاية، ولا حد ولا غاية لسعة رحمته وقدرته وإحاطته بجميع ما سواه[١٦]، وهو إقبال العبد على ربه، والإقبال عليه روح العبادة، والعبادة هي الغاية من خلق الإنسان [١٧] لقوله تعالى «ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات/٥٦) وقد لوحظ الحوار الذاتي خالصاً في دعائه (عليه السلام).

إضافة إلى أهمية هذا الأسلوب في تنقية الإنسان من شوائب الذنوب فهو الوسيلة المختارة للتحاور مع الله سبحانه وتعالى وبثّ الشكوى إليه لغرض استجلاب الثواب والجزاء العميم؛ لذا تكرّر الحثّ على الدعاء في أكثر من مناسبة وحدث في (نهج البلاغة)،لأن المصلحة تقتضي التأخير، وفي هذا المعنى يقول أمير المؤمنين: ((فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ فَلَا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ

عَاجِلًا أَوْ آجِلًا أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ))[١٨] إذ اعتمد فيه الإمام (عليه السلام) على اظهار نزعات روحه، وخلجات نفسه، فحاور ربه وعبّر عمّا في نفسه بأسلوب حواري جميل، وهذا ما تحقّق في خاتمته التي قال فيها ((وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لاَ يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلاَّ فَضْلُكَ، وَلاَ يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلاَّ مَنُّكَ وَجُودُكَ، فَهَبْ لَنَا فِي هذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ، وَأَاغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى مَن سِوَاكَ، (إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[١٩]، يشعرنا النص بأن الإمام (عليه السلام) يحاور شخصاً مقرَّبا منه في المكان، مستعملاً الأسلوب الحواري المباشر عبر ضمير المخاطب (الكاف) الذي ورد في عدة ألفاظ في النص ما يؤكّد قرب روحه المتدينة من خالقها تعالى فنجاها بطريقة عفوية صادقة نلمح فيها الذاتية التي تتحاور في مشهد حواري ووصفي، يحرص المتلقي باتجاه الاندماج المباشر بجو النص الدعائي [٢٠]، وقال له :((إنك لتعلم حاجتي إلى عطائك وسخائك والسخاء على قدر الحاجة، فأمنن علي بما يسد فقري وفاقتي، وأغنني بفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير))[٢١]، وهذا ما تحقّق ايضاً في قوله داعياً في إحدى خطبه ((وخذ بقلبي إلى مراشدي، فليس ذلك بنكر من هداياتك ولا ببدع من كفاياتك اللهم احملني على عفوك ولا تحملني على عدلك))[٢٢].

إنّ قيمة الحوار تتبلور في الخاتمة من رحم اللغة مثل الوليد الجديد، إذ تتجلّى جمالية ألفاظ الدعاء في ألفاظه الفصيحة العذبة، وفي نظمه المحكم، ودلالته على المعنى ((وفي الوقت نفسه يحرص على تقديم لغة سردية متعدّدة وحوارية))[٢٣] خفيفة في وقعها على النفس، يألفها الذوق ولا يجد صعوبة في إدراكها، بوساطة قوالب جميلة محببة إلى النفس كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، وغيرها إذ يتناول مسائله الفكرية المتداولة والمشتركة، وكأنها معطيات جديدة، ذلك لأن قدرته البلاغية مبتكرة فالنص يُولد متكاملاً، في تأديته الوظيفية الخاصة به[٢٤].

ثانياً: الحوار الثنائي :

يعدّ الحوار الثنائي نوعاً تبتعد فيه الشخصية من محاورة ذاته الى محاورة أخرى، ترتبط بين ذاتين، ولكن مفاهيمه وتطبيقاته مختلفة، فقد يأتي مركباً أو ترميزاً أو مجرداً[٢٥]، وعادة ما يكون الحوار في تلك النماذج قائم على قال أو سأل أو مرادفاتها، وقد ورد في معظم متون الباب الأول الحوار الثنائي، ومن ذلك حواره مع رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ذكره في احدى خواتيمه، فقال ((يا علي إن القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنون بدينهم على ربهم، ويتمنون رحمته ويأمنون سطوته ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والاهواء الساهية، فيستحلون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع، قلت يا رسول الله : بأي المنازل أنزلهم عند ذلك ؟ أبمنزلة ردةٍ أم بمنزلة فتنةٍ ؟ فقال : بمنزلة فتنة))[٢٦]، لقد روى الإمام (عليه السلام) الحوار ونسبه إلى المتحاورين وهما النبي (صلى الله عليه واله وسلم) والإمام (عليه السلام) نفسه، واشتمل هذا الحوار على أمور غيبية

ستحصل في المستقبل ما زاد من روعة التحاور القائمة بين الراوي والمروي له الحقيقي، ودهشته، كما لوحظ للاستفهام الذي ورد في نهاية النص دورٌ فاعلٌ في ازدياد عنصر الإثارة في النص ما يجعل المتلقي يشعر بالانجذاب في متابعة النص ؛ بهدف الحصول على الإجابة التي ينتظرها الإمام (عليه السلام) من النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، إذ جاء الحوار الثنائي على وفق ((التسلسل المنطقي...، أن يكون الحدث المفصلي والمركزي في نهاية القطعة الأدبية...، وهذا ما يبعث على إنتاج عنصر التشويق والتشوّق))[٢٧].

وقد يذكر حواراً دار بينه وبين أقوام في وقت مضى فيذكره بشكل سردي إخباري، كما في قوله : ((اليوم توافقنا على سبيل الحق والباطل من وثق بماءٍ لم يظمأ))[٢٨]، فالتحاور هنا قد حصل في الزمن الماضي، فذكره الإمام (عليه السلام) بشكل سردي أخبر فيه المتلقي والسامع بما حصل سابقاً، وكيف يوضح توافق الناس على الطريق: وقفوا كلهم عليها، يقول :اليوم اتضح الحق والباطل وعرفناهما نحن وانتم، وايضاً تضمن حواره تقانة التمثيل، ((من وثق بماء لم يظمأ))، أي إن وثقتم بي وسكنتم إلى قولي كنتم أبعد عن الضلال وأقرب إلى اليقين وثلج النفس، وكمن وثق بأن الماء معه يكون أبعد عن الظمأ وخوف الهلاك ممّن لم يكن الماء معه.

وقد يورد حواراً بينه وبين شخص مجهول النسبة مبهم لا يسميه باسمه، ويكون المعنى في ذلك الحوار موجّها في أغلبه إلى العامة، لغرض النصح والإرشاد، ومن ذلك قوله (عليه السلام) ((وخذ ما يبقى لك بما لا يتقى له، وتيسر...))[٢٩]

إذ لم يكن الحوار هنا واقعاً علمياً بل كان بشكلٍ غيبي وظّفه خادماً لخاتمته، في تركيزه على موضوعه، فالإمام (عليه السلام) هنا حاور شخصاً افتراضياً ليعمم هذا الأداء الحواري بالأدائية والاقناع، يلفت الاذهان بها[٣٠].

ونجده في موضعٍ آخر يخصّص الكلام لمجموعة معينة من الناس فيحاورهم بقوله : ((فأما السب فسبوني فأنه لي زكاة ولكم نجاة، وامّا البراءة فلا تتبرأوا مني فأني ولدت على الفطرة، وسبقتكم إلى الإيمان والهجرة)) [٣١].

حاور الإمام (عليه السلام) في هذه الخاتمة مجموعة معينة من أنصاره ، دون ان ينسب الحوار لشخص بعينه، ويبدو أنه عندما جوّز لهم سبّه أراد الإشارة إلى مبدأ التقية ((فقد تسبّ شخصاً وأنت مكره، ولحبه مستبطن، فتنجو من شرّ من أكرهك، وما أكرهك على سبّه مستعظم لأمره يريد أن يحط منه وذلك زكاة للمسبوب، أمّا البراءة من شخص فهي الانسلاخ من مذهبه، ويقال : برئ من فلان _ من باب علم - براءة، اي تخلّص منه))[٣٢].

وهذا ما لايريده الإمام (عليه السلام) للناس، بأن لا يتبرءوا منه بشكلٍ نهائي، وجوّز لهم السب إن كانوا مكرهين على ذلك، وهذا ما دلّ عليه مطلع الخطبة ذاتها، إذ ورد فيها ((امّا إنه سيظهر عليكم بعدي رجل...))[٣٣].

وهو بهذا يحاور اشخاصا قد أجبروا على سبّه

اجباراً، وهؤلاء يعرفهم معرفة شخصية لذا كانت المحاورة غير منسوبة لشخص محدّد ذكره في خطبته،اما في خطبته (الشقشقية) نجده يحاور اشخاصاً محدّدين يعرفهم شخصياً لكن الحوار جاء هنا من غير نسبة ايضاً فقال في خاتمتها ((اما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما اخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت أخرها بكأس أولاها، ولألقيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز)) [٣٤]، إذ حاور الإمام (عليه السلام) من كان عنده من الناس بصيغ (الحاضر، لألقيتم) ممّن جاءوا يطلبون منه أن يكون خليفة عليهم وقد كنى هؤلاء (بحضور الحاضر) أي ممّن حضر لبيعة الإمام بالخلافة من المهاجرين والأنصار، وهو بذلك يحاور اشخاصاً معينين يعرفهم ويعطيهم كناية تعبّر عنهم، دون أن ينسب الحوار لاسم معين منهم،وقد حمل الحوار أحداثاً عارضة وتصعيداً متواتراً، كأنه تصنيف حكائي، يتعلّق بلحظات حاسمة، تعكس السياق الاجتماعي[٣٥] الناس، لذا أخبرهم بمدى هوان الخلافة عنده وزهده فيها ؛ فالهاء في قوله ((لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت أخرها بكأس أولها)) [٣٦] عائد على الخلافة، وموقفه من الدنيا.

وما لوحظ فيه إنه جاء أثر تفاعل بين الإمام (عليه السلام) وبين المحاور الأخر، افهاماً منه للآخر أو اختلافاً معه، أو تصويباً في مشكلة ما، وهو في معظمه يدور حول ماضي ولّى، ولكن الإمام (عليه السلام) استحضره «في إطار تفاعلي بين المتكلم والمستمع، ويمكن القول إنه فعل ملازم للإنسان الذي يشتقّ من ذاته ذاتاً يحاورها،إن لم تكن هناك ذاتاً أخرى «[٣٧]

أمّا ما حفلت به من نماذج الباب الثاني (الرسائل وما جرى مجراها)، فقد وظّفت تقنية لجأ إليها الإمام (عليه السلام) في كثير من حواراته بشكل ((لم يخضع لعمل المنطق، فهو حالة بدائية، قليلة التقيد بقواعد {الحوار الثنائي }، كأنها أفكار))[٣٨]، يبثّها الإمام (عليه السلام) على وفق منطوقه.

من ذلك قوله (عليه السلام) ((فأما إكثارك الحجاج في عثمان وقتله، فإنك إنما نصرت عثمان حيث كان النصر له، والسلام))[٣٩]،، وقوله (عليه السلام) ((وقد دعوتنا إلى حكم القرآن، ولست من أهله، ولنا إياك أجبنا، ولكنا أجبنا القرآن في حكمه والسلام)) [٤٠]، وقوله (عليه السلام) ((فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما، فإن الآن أعظم أمركما العار، من قبل أن يجتمع العار والنار والسلام))[٤١]، هذه الحوارات وغيرها الكثير في باب الرسائل، إنما هي نافذة الإمام (عليه السلام)، لمحاولة التأثير على الطرف الآخر، الذي يحمل هوية التمرّد أحياناً، مثل معاوية وأشباهه، فهي حوارات تكشف ذاتية الإمام (عليه السلام) ورؤاه الواقعية أمام زيف الآخر، ولا شك أن هذا يعني رصدها المشهد ((بنقلة من حيز الواقع الى مجال النص،...، أو الحقل الاكثر حساسية، بسبب ارتباطه بصيرورة ذاتية، تتعلّق برؤى ذاتية))[٤٢].

أمّا الباب الثالث، فلم نلحظ فيه إلاّ نماذج محدّدة

من الحوار الثنائي، التي تتضح في الخاتمة تحديداً، مع أن هذا الباب كثير منه جاء إجابه السؤال موجّه للإمام (عليه السلام) من أشخاص، لكنه يخلو من فقرات يمكن معها ملاحظة الخاتمة.

من ذلك في حواره مع عمر بن الخطاب حول الكعبة [٤٣] ، وقوله (عليه السلام) ((فعليكم بهذه الخلائق فالزموها وتنافسوا فيها، فإن لم تستطيعوا فأعلموا أن أخذ القليل خير من ترك الكثير))[٤٤]، وقوله (عليه السلام) ((يا أشعث إبنك سرك، وهو بلاء وفتنة، وحزنك، وهو ثواب ورحمة))[٤٥]،

ثالثاً :الحوار الحكائي :

أسلوب يلجأ إليه الكاتب حين يستهل في سرده القصصي، بصورة حكائية « تضفي على بنائها العام وحدة عضوية، بسبب وحدة الموضوع والمشاعر والصور والأفكار»[٤٦]،ولهذا النمط حضور لمسناه في بعض متون نهج البلاغة :كان الإمام (عليه السلام) يروي فيها تفاصيل أحداث بأسلوب حكائي، كأنه لا علاقة له صراحة في مجرى النص، يقول في ختام احدى خطبه (عليه السلام) بعد انصرافه من صفين [وفيها حال الناس قبل البعثة وصفة آل النبي ثمّ صفة قوم آخرين] ((بِهِمْ سَارَتْ أَعْلامُهُ، وَقَامَ لِوَاؤُهُ، في فِتَن دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِئَتْهُمْ بأَظْلاَفِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، في خَيْرِ دَار، وَشَرِّ جِيرَان، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بأَرْض عَالِمُها مُلْجَمٌ، وَجَاهِلُها مُكْرَمٌ))[٤٧]، قوله عليه السلام: « والعلم المأثور «، يحتمل أن يكون عنى به القرآن، لان المأثور المحكى، والعلم ما يهتدى، به، والمتكلمون يسمّون المعجزات أعلاما. وقد يريد به احدى معجزاته غير القرآن، فإنها كثيرة ومأثورة، ويؤكّد هذا قوله بعد: « والكتاب المسطور «، فدلّ على تغايرهما، ومن يذهب إلى الأول يقول: المراد بهما واحد، والثانية توكيد الأولى على قاعدة الخطابة والكتابة [٤٨].

وقد يكون الحوار الحكائي متمحوراً حول مكان ما : ((وأمّا أهل المعصية فأنزلهم شرّ دارٍ، وغلّ الأيدي إلى الأعناق، وقرن النواصي بالأقدام، وألبسهم سرابيل القطران ومقطعات النيران، في عذاب قد اشتد حره، وباب قد اطبق على أهله في نار لها كلبٌ ولجبٌ، ولهبٌ ساطعٌ، وقصيف هائل لا يظعن مقيمها ولا يفادى أسيرها ولا تفصم كبولها ولا مدة للدار فتفنى، ولا أجل للقوم فيقضى))[٤٩]، فهو حوار حكائي، فيه شيء من الذاتية، لكنها لا تكتفي بالذاتية إنمّا تأخذ مساراً يحكي مشهداً يشترك مع الرسم بطريقة بصرية ((أن يلقي أحدهما الضوء على الآخر ويتواصل معه))[٥٠]، بشكل متدفّق شعورياً، كأنه تنفيس عن رغبات مكنونه.

وقد ضعف حضوره بشكل واضح في البابين الثاني والثالث موازنة مع الباب الأول، إلاّ ماندر منه، من ذلك قوله (عليه السلام) ((فاحذروا ناراً قعرها بعيد، وحرها شديد، وعذابها جديد، دار ليس فيها رحمة، ولا تسمع فيها دعوة، ولا تفرج فيها كربة، ولا تسمع فيها دعوة، ولا تفرج فيها كربة...))[٥١]، وقوله (عليه السلام)((فلته من حديث النفس، ونزعات الشيطان، ولا يثبت بها نسب، ولا يستحقّ بها أرث، والمتعلق

بها كالواغل المدفع والنوط المذبذب))[٥٢].

ومن الباب الثالث قوله (عليه السلام) ((وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى، وإن عضته الفاقة شغله البلاء، وإن جهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط به الشبع كظته البطنة))[٥٣].

ويلحظ في الحوار الحكائي أعلاه اخبارات متتالية، فيها معرفة ذات دلالات قصدية، كأنها بوح وجداني أو تداعيات، تشتّت الحاجز بين الإمام (عليه السلام) وبين من يسمع لقصه من تلك الملفوظات التي تعني بالتفاصيل[٥٤].

الخاتمة:

تشكّل الخاتمة مفصلاً مهماً في حوارية النص النثري، فقد أجمع البلاغيون والنقاد العرب على إنّ الخاتمة، تكون موصولة بما قبلها تستلذّ أسماع المتلقّي، وتسكن إلى حواسه، وليس فيها ما ينفره أو يستكره منها، ويحسن فيها تقليل الألفاظ وتكثير المعاني، أن تؤدي المغزى بالممكن، في تغيير قناعات المتلقي، لأنها عصبة المرسل له، والاّ كانت سبباً للقطيعة بينهما، ونحو ذلك من إشارات متفرّقة، لا تحتاج إلى طول تفكّر، لفظها يؤدي إلى معناها، متمّمة لما قبلها وفق مجرى واحد، تتوافق مع ذائقة المتلقّي، محافظة على انسجام النص.

الهوامش

١- لسان العرب، ابن منظور :٧٢٠/١،مادة (حور).
٢- ينظر :معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب :١٥٤.
٣- فن الكاتب المسرحي :١١٨.
٤- ينظر : القصة القصيرة :٢٥.
٥- ينظر : تيار الوعي في الرواية الحديثة :٤٤، الحوار القصصي (تقنياته وعلاقاته السردية) : ٥٦.
٦- تحليل الخطاب السردي :١٢٠.
٧- نهج البلاغة :الباب الأول، تسلسل :١٦٥، حواره مع خالقه يقول فيه ((اللهم إني أول من أناب وسمع واجاب ؛ لم يسبقني إلا رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم، بالصلاة) من كلامه :١٢٨، وكذلك قوله : (وإنها للفئة الباغية فيها الحما والحمة والشبهة المغدقة وإن الأمر لواضح...) : كلام ١٣٤ :١٦٠.
٨- ينظر : اسلوبية الحوار في القرآن : رسول حمود الدولري، اطروحة دكتوراه، بأشراف د. ماهر مهدي هلال، جامعة بغداد ١٩٩٥م،ص:٩.
٩- نهج البلاغة :الباب الثالث، تسلسل : ٢٣٥، ومن كلام له عليه السلام قاله وهو يلي غسل رسول الله، صلى الله عليه وآله وتجهيزه.
١٠- نهج البلاغة :الباب الثاني، تسلسل ٢٩٤، وكان(عليه السلام) يقول إذا لقى العدوّ محارباً.
١١- م.نفسه :الباب الثالث، تسلسل : ٢٠٢، و من كلام له ع بالبصرة و قد دخل على العلاء بن زياد الحارثي.
١٢- ينظر :في ظلال نهج البلاغة :٢٤٠/٣.
١٣- معجم السرديات :١٦٧.
١٤- نهج البلاغة :الباب الثالث، تسلسل: ١٢٧. وقال عليه السلام وقد رجع من صفين، فأَشرف على القبور بظاهر الكوفة.
١٥- جماليات المكان :١٧٠.
١٦- ينظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبدالأعلى السبزواري :٦٧/٣ _ ٧١.
١٧- ينظر :الدعاء عند اهل البيت، محمد مهدي الأصفي :١٣.
١٨- نهج البلاغة، الباب الثاني : التسلسل :٤٨، ومن وصيّة له إلى ولده الحسن (عليهما السلام): [في الدعاء والتوبة إلى الله وعفوه تعالى].
١٩- م. نفسه : الباب الثاني، تسلسل ٩١، الخطبة المعروفة بخطبة الأشباح.
٢٠- ينظر : التجربة والعلامة القصصية : ٢٩.
٢١- نهج البلاغة :الباب الثالث، تسلسل : ٩١، من خطبة له (ع).
٢٢- م.نفسه :الباب الثاني، تسلسل / ٢٢٧، وخذ بقلبي إلى مراشدي، فليس ذلك بنكر من هداياتك ولا ببدع من كفاياتك اللهم احملني على عفوك ولا تحملني على عدلك.
٢٣- خطاب الرحلة (الذاكرة وأليات انتاج الدلالة) :٨٢.
٢٤- ينظر : الدعاء في نهج البلاغة :٤.
٢٥- ينظر : المنولوج بين الدراما والشعر :٢٣، شخصيات قصة يوسف (ع) في القرآن الكريم :١٣٠،

٢٦- نهج البلاغة : الباب الثاني، تسلسل : ١٥٦، خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم.
٢٧- الخطاب السردي والشعر العربي :١٤.
٢٨- نهج البلاغة :الباب الاول، تسلسل : ٣٨، ومن خطبة له (ع) [وهي من أفصح كلامه(ع)، وفيها يعظ الناس ويهديهم من ضلالتهم، ويقال: إنه خطبها بعد قتل طلحة والزبير]
٢٩- م.نفسه :الباب الثالث، تسلسل : ٢٤، ومن خطبة له يعظ فيها الناس.
٣٠- ينظر : الدراما ومذاهب الادب :٦٧.
٣١- نهج البلاغة :البا ب الأول، تسلسل : ٥٦، ومن كلام له عليه السلام لأصحابه.
٣٢- نهج البلاغة:الباب الاول، تسلسل :١٧٩، من خطبة له (ع).
٣٣- م.نفسه :الباب الأول، تسلسل : ٥٦، و من كلام له عليه السلام لأصحابه.
٣٤- نهج البلاغة :الباب الأول، تسلسل : ٩٤، الخطبة الشقشقية.
٣٥- ينظر : شعرية القصة القصيرة جداً :١٧٩.
٣٦- نهج البلاغة :ج٢٠٢/١، الخطبة الشقشقية.
٣٧- تداولية النص الشعري جمهرة انساب العرب انموذجاً :٢٩.
٣٨- معجم المصطلحات نقد الرواية :١٦٣.
٣٩- نهج البلاغة، الباب الثاني، تسلسل :٣٧، من كتاب له إلى معاوية.
٤٠- م.نفسه : تسلسل :٤٨، من كتاب له إلى معاوية.
٤١- م.نفسه :تسلسل :٥٤، من كتاب له الى طلحة والزبير، وينظر : تسلسل :٥٥، ٥٦، ٥٩، ٦٤.
٤٢- هو الذي رأى (سيرة نص محمود عبدالوهاب) : ٥٧.
٤٣- ينظر : نهج البلاغة، الباب الثالث، تسلسل : ٢٦٨.
٤٤- م.نفسه : تسلسل :٢٨٧.
٤٥- م.نفسه: تسلسل ٢٨٩، وينظر : تسلسل :٣٠٩، ٣١٩، ٣٧٠، ٣٩٩.
٤٦- مرايا المعنى الشعري :١٤٢.
٤٧- نهج البلاغة :الباب الاول، تسلسل ٨٢، خطبة له تسمى الغراء.
٤٨- ينظر : شرح نهج البلاغة :١٣٤/١.
٤٩- نهج البلاغة : الباب الأول، تسلسل :١٠٩، خطبة له في يوم القيامة.
٥٠- قصيدة وصورة (الشعر والتصوير عبر العصور) : ٢١.
٥١- نهج البلاغة، الباب الثاني، تسلسل : ٢٧.
٥٢- م.نفسه، تسلسل : ٤٤، وينظر : تسلسل : ٥٧، ٦٣.
٥٣- م.نفسه، الباب الثالث، تسلسل :١٠٦، وينظر : تسلسل : ١٢٩، ١٤٥، ٢٥١.
٥٤- ينظر : مقاربات في السرد :٧.

المصادر والمراجع

أولاً :الكتب:

١- اسلوبية الحوار في القرآن : رسول حمود الدولري، اطروحة دكتوراه، بأشراف د. ماهر مهدي هلال، جامعة بغداد ١٩٩٥م.

٢- تحليل الخطاب السردي : عمر عيلان، سلسل الدراسات ٢، ٢٠٠٨م.

٣- تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، مترجم ومحقق : محمود الربيعي، دار نشر:المركز القومي للترجمة، ط٢٠١٥م.

٤- جماليات المكان : غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، ط٢، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

٥- الحوار القصصي (تقنيات وعلاقات السردية) : فاتح عبد السلام، ط١، ٢٠١٦ م.

٦- الدراما ومذاهب الأدب، فايز ترحيني، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٨م.

٧- الدعاء عند أهل البيت، محمد مهدي الاصفي، ط٤، منشورات جامعة المصطفى العالمية،١٤٢٩هـ.

٨- شعرية القصة القصيرة جداً : جاسم خلف إلياس / جميل حمداوي، دار نينوى، ١٤٣٠هـ، ٢٠١٠ م.

٩- فن الكاتب المسرحي، د. رشاد رشدي،الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م.

١٠- في ظلال نهج البلاغة، الشيخ محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين _ بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.

١١- القصة القصيرة، ولسن ثورنلي، ترجمة الدكتور مانع حماد الجهني، جامعة الملك سعود بالرياض، ٢٠١٧.

١٢- قصيدة وصور (الشعر والتصوير عبر العصور)، عبدالغفار مكاوي، سلسلة كتب يصدرها المجلس الوطني الثقافي والفنون الآداب _الكويت،٢٠١٧. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة :د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت،د.ت.

١٣- لسان العرب، ابن منظور (ت٦٣٠-٧١١هـ)، دار احياء التراث العربي، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، ١٩٩١م.

١٤- مرايا المعنى الشعري،د. رحمن غركان، مؤسسة دار الصادق الثقافية، ط١، ١٤٣٣هـ _٢٠١٢م.

١٥- معجم السرديات، محمد القاضي، محمد الخبو، أحمد السماوي، محمد نجيب العمامي وأخرون...، مكتبة الأدب المغربي،ط١، د.ت .

١٦- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.احمد مطلوب مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٧- المنولوج والدراما والشعر ، اسامة فرحان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ٢٠١٥م.

١٨- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبدالأعلى السبزواري، ط٣، ٢٠١٨.

١٩- نهج البلاغة، شرح ابن ابي الحديد المعتزلي، الناشر : دار الامير للنشر _ بيروت، ٢٠١١م.

الرسائل والأطاريح:

١- تداولية النص الشعري (جمهرة اشعار العرب انموذجاً) (اطروحة دكتوراه)، شيتررحيمة، اشراف الدكتور : عبدالقادر دامخي، ١٤٢٩-١٤٣٠هـ.

٢- سيماء العنوان،بسام قطوس، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، أربد _ الادن، ٢٠١٩م.

٣- مقاربات في السرد (الرواية والقصة في السعودية)، د. حسين المناصرة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها،د.ت.